المحافظة على البيئة في الفقه والقانون "دراسة مقارنة"

د. إبراهيم أحمد محمد الصادق الكاروري(*)

مستخلص البحث

تناولت هذه الورقة، ومن خلال دراسة منهجية، كيفية المحافظة على البيئة في الفقه والقانون، وقد أبرزت أهمية البيئة وضرورة المحافظة على سلامتها ذلك أن الاضرار بالبيئة يؤدي إلى الاضرار بالحياة في جميع أبعادها: الإنسان– الحيوان – النبات، ومن هنا أتى الإسلام حاثاً ومرغباً في الحفاظ على البيئة من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية الداعية إلى حفظ -الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل - وتواردت الآيات، والأحاديث الدالة على ذلك، وقد حرم الشرع الافساد والتخريب، وجعل ذلك قرين الكفر.

ونجد نفس الأمر في القوانين في الدول العربية، فقد أصدرت هذه الدول مجموعة من القوانين المتصلة بالبيئة وذلك للمحافظة عليها.

غير أن السؤال الذي يرد هل هذه التشريعات والقوانين حققت المقصد، وتمت المحافظة على البيئة، أم أن الأمر يحتاج إلى مجهود أكبر، وإحاطة أوسع وقد أوردت الورقة مجموعة من التوصيات علها تجيب عن هذه الأسئلة.

(*) أستاذ مساعد، وعميد كلية الشريعة والقانون، جامعة أمدرمان الإسلامية، السودان.

Abstract

This paper is addressed through a systematic study of how to maintain the environment in jurisprudence and law, has highlighted the importance of the environment and the need to preserve territorial integrity so that damage to the environment to the detriment of life in all its dimensions: Human-Animal, Plant, and here came Islam urging and exhorted in environmental conservation through the purposes of Islamic law to save (religion, self, mind, money, birth control) and quoted Verses and Alhaadeeth which indicate that, Shariah has denied corruption and subversion, and therefore making a spouse infidelity.

We find the same command in the Arabic States; these States have issued a series of laws related to the environment and to maintain.

But the question is do these laws achieved destination, was the preservation of the environment, or that a greater effort was needed, and a wider briefing paper provided a set of recommendations that might answer these questions.

المقدمة:

الحمد لله الذي قدر فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أولي العزمات والنهى.

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم. وهيأ له الكون المسخر، وجعله خليفة ليقوم بواجب العبادة طاعة لله وإعماراً للكون. وأنزل إليه كتاباً هادياً، ووحياً عاصماً. وامتلك بذلك المنهج الصالح والذي من خلاله يستطيع أن يؤدي أمانة الاستخلاف في الأرض، وقد شهد التاريخ الإنساني دورات من الصعود، والهبوط الحضاري، وتقلبات في علاقة الإنسان بما حوله مما سخره الله له، غير أن الصعود والتطور الحضاري، ظل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بطبيعة العلاقة، ومدى إحسانها وضبطها، بين الإنسان وبين ما حوله، مما سخره الله له من مكونات البيئة.

إن المحافظة على البيئة والتعامل مع المسخرات، إن كان ينضبط بضوابط قانونية، ويحمى بالتشريعات التي تتأسس على المراقبة السلطانية، والعقاب المادي وهذا مع أهميته، إلا أن الالتزام الأخلاقي والقيمي التزكوي، يظل هو الأهم وهذا ما نجده واضحاً في المنهج الإيماني. والذي يتصل اتصالاً وثيقاً بمنهج التأهيل الحضاري والرسالي للإنسان المؤمن، خاصة، يقول تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[1].

ويقول تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[2].

إن المنهج التزكوي: هو المؤهل الأخلاقي الأعلى لإخراج الإنسان القادر، على ضبط العلاقة مع ما حوله من مكونات الوجود، بمقياس دقيق وميزان أمين من غير ظلم،

(1) سورة البقرة: الآية 129.

(2) سورة الجمعة: الآية 2.

ولا طغيان (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)[1]. والإسلام كما هو معلوم هو دين الطهر يقول ﷺ: (الطهور شطر الإيمان)[2].

وقد أتت الآيات والأحاديث الدالة على أهمية إحسان العلاقة بين الإنسان وبين مكونات بيئته، كما سيرد ذلك خلال ثنايا البحث،وما يشهده العالم اليوم من فساد واضطراب ولاسيما في مجال الحفاظ على البيئة، إنما يُرد في المقام الأول: إلى خسران الميزان، واضطراب الأفهام وغياب هداية الوحي عن واقع الحياة.

وقد انصب الجهد الإنساني ولا سيما في الآونة الأخيرة، وبعد الشعور بالأخطار الكبيرة التي تتعرض لها البيئة الكونية، مما ظهر فيما يعرف بموت الأنهار الكبيرة، والأمطار الحمضية، وظهور الأمراض الفتاكة. انصب الجهد في اصدار القوانين، والنظم الحامية والضابطة للتعامل مع البيئة. وقد هدفت هذه الورقة إلى تعميق مفهوم المحافظة على البيئة والاجتهاد في سبيل إنزال ذلك إلى الواقع، من خلال الدراسة المقارنة بين القوانين، والفقه الإسلامي؛ حيث تبرز أهمية الإجابة عن السؤال المركزي؛ وهو هل التطور الحضاري يستصحب قيماً تعين على حماية البيئة ورعايتها، وهل يمكن أن نتصور ذلك بمعزل عن توجيهات الدين وقيم الإيمان ذات البعد الإطلاقي، الذي لا يحابي إقليماً على إقليم ولا مجتمعاً على مجتمع؟

أهداف البحث:

يمكن تحديد أهداف البحث في الآتي:

[1] بيان مرتكزات الحفاظ على البيئة، وحمايتها من خلال الفقه والقانون.

[2] التعريف بأهمية البيئة وسلامتها، وأثر ذلك على رسالة الإنسان في الحياة.

---

(1) سورة الرحمن: الآية 8.

(2) صحيح مسلم –مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) –تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي –دار إحياء التراث العربي – بيروت– باب فضل الوضوء – ج1 – ص203.

[3] توضيح الآثار السالبة للاضرار بالبيئة، ومدى مراعاة القوانين لذلك.

أهمية البحث:

[1] تناول قضية تمس حياة الإنسان وسلامة الكون.

[2] مدى استيعاب التشريعات القانونية للمتغيرات في العلاقة مع البيئة.

[3] التنبيه إلى الأخطار التي تحيط بالواقع البيئي.

مشكلة البحث:

تبرز مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

[1] ما هي الصلة بين رسالة الإنسان في الحياة، وسلامة البيئة والحفاظ عليها؟

[2] هل للتطور الحضاري والتقني أثر سالب على سلامة البيئة؟

[3] ما مدى قدرة التشريعات القانونية على الحفاظ على البيئة؟

المنهج المتبع:

ولقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن.

المبحث الأول

مفهوم البيئة

اكتسب مفهوم البيئة معانيَ متعددة بتعدد العلوم الإنسانية، ومتأثراً باختلاف المضامين والغايات، وربما أدى ذلك إلى جعل مفهوم البيئة من أكثر المفاهيم العلمية تعقيداً على الرغم من الأهمية التي تتصل بموضوعاتها(1).

فمفهوم البيئة يتداخل مع كل العلوم الإنسانية، وقد ظهر الحديث عن البيئة الاجتماعية، والبيئة الجغرافية، والبيئة الاقتصادية، والبيئة الحضارية، والبيئة الثقافية، والبيئة النفسية. ولبيان ذلك نتتبع المصطلح في قواميس اللغة ثم في استعمالاته الفقهية والقانونية.

(1) انظر المشكلات البيئية المعاصرة في العالم – د. كاظم المقدادي – الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك – قسم ادارة البيئة – ط1 – 2007م – ص4.

أولاً: المفهوم اللغوي للبيئة:

البيئة لغةً بوأ تبوأ منزلاً نزله، وبوأ له منزلاً، وبوأ منزلاً هيأه، ومكن له فيه، وباؤوا بغضب من الله رجعوا به[1].

وتقول بوأك الله مبوأ صدق، وتبوأ فلان منزلاً طيباً، ونزلوا في مباءتهم، وأناخوا ابلهم في مباءتها وهي معطنها، وبوأت الرمح نحوه سددته[2].

أما التعريف في اللغة الإنجليزية، فيستخدم لفظ البيئة (Environment) في الدلالة على الظروف المحيطة المؤثرة علي النمو والتنمية، وكذا يستخدم للتعبير عن الظروف الطبيعية مثل الهواء والماء والأرض التي يعيش فيها الإنسان[3].

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي للبيئة:

فقد تناول العديد من الباحثين والعلماء والهيئات العلمية تعريف البيئة، كل تبعا لزاوية الاهتمام بها، وفي ضوء هذه الأهمية صارت البيئة مجالا للاهتمام العلمي تلتقي فيه، وتنطلق منه العديد من العلوم الطبيعية والاجتماعية، حيث يلقي كل منها الضوء علي جانب من هذا المفهوم، ويقصد بالمفهوم الاصطلاحي تعريف البيئة من زاويتين، الأولى: هي الزاوية العلمية (Scientific)، ونعني بها ما يقول به العلماء المتخصصون في شأن البيئة، وفيما يلي نتعرض للحديث عن المفهوم الاصطلاحي من خلال التعريف العلمي:

{أ} التعريف العلمي:

البيئة مصطلح واسع يشمل كل ما يحيط بالإنسان، ومن الزاوية العلمية، تعرف البيئة بأنها "الأحوال الفيزيائية، والكيميائية، والإحيائية للإقليم الذي يعيش فيه كائن حي"،

---

(1) مختار الصحاح – الرازي – مكتبة الرشد ط1 – 2004 – ص92.

(2) أساس البلاغة–الزمخشري– بيروت دار المعرفة – ط1982 – ص33.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Environment وانظر: الإنسان والبيئة من منظور اسلامي – أ.د. الطيب حياتي – مركز دراسات الإسلام والعالم والمعاصر – ط 2012م – ص13.

وتعتبر الكرة الأرضية كلها بمثابة البيئة لبني البشر، وتتكون من الهواء والماء والتربة وكافة الكائنات الحية الأخرى(1).

كما تعرف بأنها "كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل المدينة بأكملها، مساكنها، وشوارعها، وأنهارها، وآبارها، وشواطئها، كما تشمل أيضاً كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس بالإضافة إلى العوامل الجوية والكيميائية وغير ذلك".

وقد جاء تعريف مفهوم البيئة في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي انعقد في ستوكهولم 1972 بأنها "رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"(2).

وقد أعطاها مؤتمر ستوكهولم فهما واسعا، حيث أشار إلي أنها لا تتضمن العوامل أو الموارد المادية فقط (كالماء والهواء والتربة)، وإنما تتضمن أيضا العوامل والظروف الاجتماعية التي تتوافر في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان(3).

{ب} التعريف القانوني للبيئة:

جاء في القانون السوداني لحماية البيئة الصادر في 2001م: البيئة يقصد بها مجموعة النظم الطبيعية بمكوناتها من العناصر الأساسية، كالماء، والهواء، والتربة،

(1) انظر: البيئة ومشكلاتها – رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني – علم المعرفة – 1979 –ص15 وما بعدها.

(2) انظر مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية استكهولم 1972 – وانظر: الإسلام وحماية البيئة د. آمنة نصير القاهرة – 2001م – العدد 76 – ص6.

(3) انظر التلوث البيئ والتنمية الإقتصادية – د. منى قاسم – الدار المصرية اللبنانية – ط1 1993 – ص35 وما بعدها – وأنظر الملوثات الكيميائية وأثرها على الصحة والبيئة المشكلة والحل – د. الشحات حسن عبد اللطيف – دار النشر للجامعات – ط1 – 2011 – ص14.

والنبات، وتشمل أيضاً مجموعة النظم الاجتماعية، والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، ويستمدون منها قوتهم ويؤدون فيها نشاطهم[1].

وجاء في القانون الأردني لحماية البيئة: بأنها المحيط الذي يشمل الكائنات الحية، وغيرالحية، وما يحتويه من مواد وما يحيط به من هواء، وماء، وتربة، وتفاعلات أي منها، ومايقيمه الإنسان من منشآت فيه[2].

وعرفها القانون المصري بأنها:المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية و ما يحتويه من مواد، وما يحيط بها من هواء، و ماء، و تربة، وما يقيمه الإنسان من منشآت[3].

ونجد هناك علاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، غير أن التعريف الاصطلاحي أخذ اتساعه من خلال تعبيره عن مفهوم له أبعاده وفق صلته بالمتغيرات البيئية للحياة، وهذا يؤكد تطور الدلالة الاصطلاحية تناسباً مع المسيرة الحضارية للإنسان.

المبحث الثاني

فقه البيئة في الإسلام

البيئة في التصور الإسلامي، هي مجال حركة الإنسان، وساحة تعبيره عن معاني عبوديته، وطاعته لله، وهي مجال التدين العام، كما سوف يرد ذلك مفصلاً.

ينظر الإسلام إلى الكون نظرة كلية واسعة؛ تتجاوز حدود النطاق الضيق الذي يعيش فيه الإنسان، من حيث المكان والزمان إلى رؤية كلية واسعة؛ ذلك أن الكون في التصور الإسلامي، هو مجال عبودية الإنسان ودائرة حركته. والإنسان مطلوب منه أن

(1) انظر المواد ضمن قانون حماية البيئة السوداني.

(2) انظر المادة (2) قانون حماية البيئة الاردني.

(3) انظر قانون حماية البيئة الأردني – المادة (1)–مرسوم قانون حماية البيئة السوداني المادة (3) – والمصري– المادة (1).

يحافظ على ما يليه ويصلح فيه باعتباره جزءاً من كل، ومن هنا فإن مبدأ الإصلاح في الإسلام مبدأ عام، كما أن الإفساد مرفوض ومحذر منه في أي جزء من أجزاء هذا العالم، الذي خلقه الله وأمر بإصلاحه وإعماره(1). والرؤية الإسلامية هنا تتفوق على غيرها من الرؤى البشرية، والإنسانية ذات الطبيعة الأنانية التي تتحرك وفقمصالحها، كما نرى بعض الدول، والشركات والجهات وهي تجتهد في حماية دائرتها الجغرافية، وإقليمها، لكنها لا تتورع من أن تلقي بالملوثات، والمفسدات في نطاقات جغرافية أخرى، تحدث دماراً، وهلاكاً للإنسان وللبيئة من حوله. ولبيان نظرة الإسلام للبيئة ومحافظته عليها؛ نسوق مجموعة من المرتكزات التي تبين هذا الاهتمام .

أولاً: الكون بيئة الاستخلاف الإنساني:

يمثل هذا الكون بمحتوياته المجال الذي تتجلى فيه معاني العبودية، وتظهر فيه قيم الإيمان، والإسلام، يقول تعالى مبيناً ذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(2). جاء في تفسير هذه الآية: يُخْبِرُ تَعَالَى بِامْتِنَانِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ، بِتَنْوِيهِهِ بِذِكْرِهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَبْلَ إِيجَادِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} أَيْ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ، وَاقْصُصْ عَلَى قَوْمِكَ ذَلِكَ...{إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} أَيْ: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ كُمْخَلَائِفَ الأَرْضِ}(3). وَقَالَ {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

(1) انظر خطة الإسلام في موارد الانتاج – د. فهد حمود العصيمي – الرياض – دار النشر الدولي – ط1 – 1994م – ص24 وما بعدها.

(2) سورة البقرة: الآية 30.

(3) سورة الْأَنْعَامِ: 165.

الأرْض}[1]. وَلَيْسَ الْمُرَادُ هَاهُنَا بِالْخَلِيفَةِ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَطْ كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَعَزَاهُ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.

إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا حَسُنَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَأَنَّهُمْ عَلِمُوا ذَلِكَ بِعِلْمٍ خَاصٍّ، أَوْ بِمَا فَهِمُوهُ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَإِنَّهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَخْلُقُ هَذَا الصِّنْفَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ[2].

والخلافة يقصد بها قيام الإنسان بواجبه تجاه رسالته الكبرى بناءً واصلاحاً وحماية ورعاية لمكونات هذا الكون، وقد اشارت الآيات لهذا المعنى في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[3]. هَذَا مَقَامٌ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ شَرَفَ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مِنْ عِلْمِ أَسْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُمْ، وَهَذَا كَانَ بَعْدَ سُجُودِهِمْ لَهُ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ هَذَا الْفَصْلَ عَلَى ذَاكَ، لِمُنَاسَبَةِ مَا بَيْنَ هَذَا الْمَقَامِ، وَعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِحِكْمَةِ خَلْقِ الْخَلِيفَةِ، حِينَ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُمْ [اللَّهُ] تَعَالَى بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَالَا يَعْلَمُونَ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى هَذَا الْمَقَامَ عَقِيبَ هَذَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ شَرَفَ آدَمَ، بِمَا فُضِّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.

وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} قَالَ: عَرَضَ عَلَيْهِ أَسْمَاءَ وَلَدِهِ إِنسانا إنسانا، وَالدَّوَابِّ، فَقِيلَ: هَذَا الْحِمَارُ، هَذَا الْجَمَلُ، هَذَا الْفَرَسُ.

---

(1) سورة النَّمل: الآية 62.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن –محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) –تحقيق: أحمد محمد شاكر –مؤسسة الرسالة –ط1، 1420 هـ - 2000 م –الباب 30–ج1– ص443، وأنظر: الإسلام وحماية البيئة – أ.د. آمنة نصير – القاهرة – ط2001م – ص19 وما بعدها – مصدر سابق.

(3) سورة البقرة: 31.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} قَالَ: هي هذه الأسماء التي يتعارفهَا النَّاسُ: إنسان، وَدَابَّةٌ، وَسَمَاءٌ، وَأَرْضٌ، وَسَهْلٌ، وَبَحْرٌ، وَجَمَلٌ، وَحِمَارٌ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَمِ وَغَيْرِهَا[1].

وهذا يدل على قوة الصلة بين الإنسان وبيئته، فالبيئة في حقيقتها مجال لحركة الإنسان. ولتجليات معنى عبوديته في تعامله مع المسخرات، وفق ما شرع الله.

ثانياً: التسخير وبيئة الاستخلاف:

إن التسخير يقصد به إخضاع المخلوقات والكائنات والأشياء لسلطة الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى على غيره واعطاه نعمة العقل التي من خلالها يحسن التعامل مع الأشياء، ثم زوده بقيم العقيدة السمحاء، وضوابط الإيمان حتى لا يظلم ولا يفسد يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]. ويقول تعالى وهو يشير إلى نعمة التسخير: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. وجاء في معنى الآية قولهت عالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَاوَاتِ) من شمس، وقمر، ونجوم، (وَمَا فِي الأَرْضِ) من دابة، وشجر، وجبل، وجماد، وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِنْهُ). يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكر تلكم أيها الناس: من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه، تفضّل به عليكم، فإياه فاحمدوا لاغيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم

(1) تفسير الطبري – جامع البيان –الباب 30–ج1– ص443 وما بعدها – مصدر سابق.

(2) سورة الإسراء: 70.

(3) سورة الجاثية: 13.

عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه[1].

وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. وجاء في التفسير ومن نِعَمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل، أن سخر لكم الليل، والنهار يتعاقبان عليكم، هذا لتصرّفكم في معاشكم، وهذا لسكنكم فيه، (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم، وصلاح معايشكم (وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) لكم بأمر الله تجري في فلكها، لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج لله ويفهمون عنه تنبيهه إياهم[3].

ثم أتت الإشارة الواضحة إلى البيئة المهيأة لحركة الإنسان في قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾[4]. ومن خلال ذلك نرى شمول مفهوم البيئة، والتي تضم الإنسان، والأرض، والمياه، والغطاء النباتي، والجبال، وما هيأه الله وفق مبدأ التسخير، لسعادة الإنسان واستقراره[5]. بل إن البيئة في التصور الإسلامي تتصل بمفهوم القيم الجمالية، والزينة ببعدها الوظيفي والإصلاحي، يقول تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ

(1) تفسير الطبري – جامع البيان – الباب 13 – ج22 – ص65، مصدر سابق، وأنظر الإسلام وحماية البيئة أ.د. آمنة نصير القاهرة ط 2001م – ص19 وما بعدها– مصدر سابق.

(2) سورة النحل: 12.

(3) تفسير الطبري – جامع البيان – الباب 11 – ج17 – ص179 – المصدر نفسه.

(4) سورة النازعات: 30–31.

(5) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها د. صبحي الصالح –بيروت– دار العلم للملايين – ص58 وما بعدها.

فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1].

إن هذا التأهيل الذي هيأه الله لهذه البيئة استوجب واقتضى القيام بواجب الإعمار، والتطوير، والاصلاح، يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[2].

ثالثاً: البيئة ومنهج حفظ الإنسان وحماية الأحياء:

الناظر في المبدأ الإسلامي العام يجد أن حماية البيئة؛ تتصل بقيم الإيمان، وضوابط التشريع، وموجهات الأخلاق، ويتضح ذلك من الآتي:

{أ} حماية الإنسان: لقد كرم الشرع الإنسان، وأحاطه بالحماية، والرعاية، وحرم الاعتداء عليه في عقيدته، ونفسه، وعقله، ونسله، وماله، وشدد النكير على من خالف ذلك[3]. ونتبين هذا من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك. يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[4].

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَرُّوا فِي سَفَرِهِمْ بِرَجُلٍ مَعَهُ جَمَلٌ وَغُنَيْمَةٌ يَبِيعُهَا فَسَلَّمَ عَلَى الْقَوْمِ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ. فَلَمَّا ذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَقَّ عَلَيْهِ وَنَزَلَتِ الْآيَةُ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(1) سورة الحديد: 20.

(2) سورة هود: 61.

(3) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل – د. عبد المجيد النجار – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط2 1993م – ص61 وما بعدها.

(4) سورة النساء: 94.

قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ. قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ (السَّلَامَ). فِي غَيْرِ الْبُخَارِيِّ: وَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِيَتَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ غُنَيْمَاتِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي تَعْيِينِ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَهُوَ فِي سِيَرِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَمُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ وَالِاسْتِيعَابِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ الْقَاتِلَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، وَالْمَقْتُولُ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ فَدَعَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَلِّمٍ فَمَاعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا سَبْعًا ثُمَّ دُفِنَ فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ دُفِنَ فَلَمْ تَقْبَلْهُ ثُمَّ دُفِنَ ثَالِثَةً فَلَمْ تَقْبَلْهُ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ أَلْقَوْهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشِّعَابِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ)[1].

{ب} حماية الحيوان: لقد اهتم الشرع الإسلامي بالكائنات الحية لما لها من حضور ايجابي؛ على سلامة البيئة وصلاحها. وقد أشار إلى ذلك الموروث الفقهي المستفاد من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾[2]. وجاء في الحديث النبوي قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ)[3]. فكأن معلم الناس الخير هو الذي يعلمهم فيما يعلمهم كيفية المحافظة على سلامة البيئة، حتى لا يقع الضرر بالأحياء من حيتان ونمل.

---

(1) تفسير القرطبي –أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) –أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية–القاهرة –ط2، 1384هـ – 1964 م–سورة النساء آية (4) – ج5 – ص336.

(2) سورة الأنعام: 38.

(3) شرح سنن الترمذي – محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى الترمذي (المتوفى: 279هـ)– تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير –باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة – رقم 2685 – ج5 – ص 50.

{ج} حماية الأرض وتنميتها: اهتم الشرع الإسلامي بحماية الأرض وتنميتها ولفت إلى ذلك وهو يدعو إلى السير فيها واخراج خيراتها وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[1]. ويقول ﷺ في آثار الاهتمام بالأرض مبيناً حال ذلكم الرجل الذي اهتم بزراعة أرضه: "بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ – لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ "[2].

{د} المحافظة على سلامة الهواء والمياه: ان المحافظة على سلامة الهواء والمياه هي تحقيق لمبدأ شكر النعمة ومن أعظم النعم المياه يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[3]. كما يذكر بنعمة الرياح المسخرة بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

---

(1) سورة الرعد: 4.

(2) صحيح مسلم – باب الصدقة في المساكين – رقم 2984 – ج4 – ص 2288.

(3) سورة الأنبياء: 30.

(4) سورة الأعراف: 57.

رابعاً: الحماية الإيمانية للبيئة:

وتتضح الحماية الإيمانية للبيئة من خلال ربط ذلك بالمعتقد كما قدمنا يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[2].

إن اماطة الأذى عن الطريق، وهو الذي يشير إلى المحافظة على نظافة وطهر الطريق من القاذورات والمفسدات؛ يدل دلالة واضحة على تحقيق الايمان في القلوب وانعكاسه على حياة الناس.

خامساً: الحماية الأخلاقية للبيئة:

يقول الرسول ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)[3]. ومن مكارم الأخلاق احسان التعامل مع مفردات البيئة، يقول ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[4]. ولا نتصور حماية للإنسان إلا من خلال حماية البيئة التي يعيش فيها.

(1) سورة البقرة: 22.

(2) سنن النسائي–بو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة –مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب –ط2، 1406 – 1986–باب شعب الإيمان– رقم 5005– ج8– ص 110.

(3) السيرة النبوية عند الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد –سليمان بن عبد الله السويكت –مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة– ج9 – ص18.

(4) صحيح مسلم – باب تحريم ظلم المسلم وخذله – ج4 – ص 1986م.

ويقول ﷺ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ»[1]. ويقول تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ ﴾[2]، إن حفظ البيئة يتصل بالعدل في الميزان، حفظاً للبيئة ولمكوناتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[3]. ومن أعظم التوجيهات الإصلاحية قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[4]، وهذه من القواعد الفقهية الجامعة، والتي تنفي الضرر وتحرمه، ولا شك أن العدوان على البيئة من أكبر أنواع الضرر.

سادساً: العبادات ورعاية البيئة:

لقد تجلت المعاني الدالة على حماية البيئة ورعايتها، من خلال العبادات فنجد أثر ذلك في الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة.

* أما الصلاة فإن من شروطها الطهارة الشاملة، ومن أركانها الطمأنينة، ومن الضوابط التي تتصل بها عدم التبذير والإسراف في استعمال الماء، بل والمحافظة عليه طاهراً، فقد نهى ﷺعن البول في الماء الراكد، وتم تقسيم المياه إلى

(1) صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي– تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ط 1422هـ – باب سقي الماء – رقم 2385 – ج3 – ص112.

(2) سورة الرحمن: 1–8.

(3) سورة لقمان: 19.

(4) سنن ابن ماجه – ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني– تحقيقمحمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية – باب من بنى في حقه ما يضر بجاره – رقم 2341 – ج2 – ص784.

طهور، وطاهر، ونجس. وهذا يتضمن مراعاة البيئة، والمحافظة عليها في أعلى درجات النقاء متمثلة في الماء[1].

* ونهيه ﷺ عن التبرز في المواضع التي يحتاجها الإنسان؛ إذ يقول: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[2]. وهكذا وجهت الشريعة الإسلامية إلى أهمية المحافظة على سلامة الطريق.

* وأما الصوم فإنه يعيد ترتيب العلاقة مع احتياجات الإنسان والتي تتصل بشهوته، من أكل وشرب، ليلتفت إلى القيم الخلقية الضابطة والموجهة، حتى يتعامل وفق موجهات الإيمان، في علاقته مع مكونات البيئة من حوله، من غير طغيان ولا ظلم، وكما قال ﷺ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ"[3]. ومن السنة الافطار على الماء، والتمر، وكل ذلك متصل بسلامة البيئة التي تحفظ للإنسان أسباب حياته[4].

* ثم الحج وهو عبادة تعلى من القيم الأخلاقية، وتؤكد مبدأ المحافظة على البيئة، برؤية شاملة يقول تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[5]. ويقول: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ

(1) روح الصلاة في الإسلام– عفيف عبد الفتاح طبارة – بيروت دار العلم للملايين – ط8 – 1978م – ص 17 وما بعدها.

(2) صحيح مسلم – باب النهي في التخلي في الطريق – رقم 269 – ج1 – ص 226 – مصدر سابق.

(3) سنن الترمذي – باب ما جاء في ذكر الصلاة – ج5 – ص 12 – مصدر سابق.

(4) المستخلص في تزكية النفس – سعيد حوى – دار السلام للطباعة والنشر – ط4 – 2008م – ص62 وما بعدها.

(5) سورة المائدة: 97.

يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1]. كما أن الإحرام للحج يعني مراعاة القيم الأخلاقية العليا في التعامل مع الناس، بل ومع الحيوان، ومع الشجر، حتى يتزود الإنسان بطاقة قيمية وأخلاقية للمحافظة على البيئة من حوله[2].

* ثم الزكاة، وفريضة الزكاة هي الفريضة التي تهتم بجانبي الطهارة والنماء، الطهارة للحياة وتنميتها، وذلك بإصلاح حال الإنسان، وتزكيته، وتطهيره، ونزع أسباب الغل، والحسد، والعجب، والكبر من نفسه، والتواصل مع غيره لبناء مجتمع القيم الطاهرة، والزكاة هي تنمية للمحاصيل التي يحتاجها الإنسان، وللحيوان الذي يعتمد عليه في حياته، وللمال الذي بواسطته تبنى المشاريع، وتعمر الأرض، ويحافظ على البيئة.

والخلاصة في ذلك؛ أن نظرية الاهتمام بالبيئة في الإسلام لا يدانيها أي اهتمام من قبل تشريعات البشر؛ ذلك أن المحافظة على البيئة أمر رباني، ووحي من الله سبحانه وتعالى، فهو إذاً يرتبط بالأهداف العليا، ولا يتأثر الحفاظ على البيئة بحال الإنسان، ورغباته، وطموحاته، وتقلب شأنه.

سابعاً: مقاصد الشريعة والمحافظة على البيئة:

لقد إرتبط التاريخ الرسالي ارتباطاً وثيقاً بالإهتمام بالبيئة، وإصلاحها وتنميتها[3]. وأتت الإشارة في الكتاب العزيز إلى بيان ذلك، وأن السعادة والأمن والإصلاح في الدنيا إنما يتأكد من خلال إعلاء مبدأ الإيمان، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم

(1) سورة البقرة: 197.

(2) العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية – د. عبد العزيز بن عبد الرحمن – مكتبة الملك فهد الوطنية – ط1 1422هـ – ص64.

(3) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل – د. عبد المجيد النجار –ص53 وما بعدها– مصدر سابق.

بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]. وتتجلى معاني الاهتمام بالبيئة، من خلال مقاصد الشريعة الإسلامية، وفق ما حدده أهل العلم.

{أ} مفهوم المقاصد:

المقاصد في اصطلاح الفقهاء هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكماً جزئياً، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تجمع ضمن هدف واحد، هو تقدير العبودية لله ومصلحة الإنسان في الدارين. وعرفت، بأنها المعاني، والأهداف والحكم الملحوظة للشارع في تشريعه للأحكام، أو معظمها أو الاسرار التي أودعتها تلك الأحكام[2].

هذا التعريف يبين لنا أن هذه المقاصد تمثل روح التشريع الإسلامي، ومظهر الشمول والكمال فيه، وهي التي تعطي الفعل والأداء خصوصيته، وغاياته، وأهدافه، وتظهر العلاقة القوية بين النص الهادي، والمرشد، والعقل المؤمن، والواقع؛ باعتباره الإطار الموضوعي لحركة الإنسان والمظهر لمعاني الاستخلاف والمجلي لحقائقه في الحياة، فالشريعة الإسلامية هي منهاج الاستخلاف الكامل للإنسان، على الأرض، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الأرض بما فيها منقادة بسنة التسخير للإنسان يستخرج كنوزها، ويستفيد من خيراتها، ويسعى في عمرانها.

والغاية من التسخير هي أن يعلم الإنسان من خلالها قدرة الله المطلقة وعلمه المطلق ورحمته المطلقة[3].

(1) سورة الأنعام: 82.

(2) انظر: نظرية المقاصد عند الامام محمد الطاهر بن عاشور – اساعيل الحسني – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط1 – 1995م – ص115 وما بعدها.

(3) فلسفة التربية الإسلامية – مكتبة المنارة – د. ماجد عرسان الكيلاني –ط1 1978م –ص {116}.

يقول تعالى:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(1).

ويقول تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(2).

هذه الآيات المحكمات تبين لنا جوانب من الحكم العظيمة التي جعلها الله سبحانه وتعالى متصلة بحياة الإنسان، على ظهر هذه الأرض، وهي التي تحدد مقاصد تلك الحياة وأهدافها في الإعمار والإصلاح، ونفي أسباب الفساد والاختلال

يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(3). ويقول عز وجل:﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(4). وتمثل العبادة قمة الصلاح الكوني.. يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(5).

{ب} الصلاح الكوني مقصد شرعي:

إن النظر بتمعن في غايات الخلق وأهدافه تبين لنا أن الصلاح الكوني هو المقصد العظيم الذي قصدت إليه الشريعة الإسلامية، وهذا الصلاح يرتبط بصورة مباشرة بصلاح الإنسان المستخلف على الأرض والمسخر له ما فيها وبصلاحه ينصلح الحال ويفسد بفساده .

(1) سورة لقمان، الآية {20}.
(2) سورة الجاثية، الآية {13}.
(3) سورة المؤمنون، الآية {115}.
(4) سورة هود، الآية {88}.
(5) سورة الذاريات، الآية {56}.

يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(1).

ومن أهم أسباب زوال الحضارات وتخريب العمران، ظهور الفساد وانتشاره.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(2). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(3).

إن كانت المصلحة بمعناها الشامل إصلاحاً للإنسان، وصلاحاً للكون هي المقصد الأصل للشارع، فإن هذه المصلحة لا تقرر بتقدير العقل، وتقدير الأهواء، وتزيين الشهوات والخيالات، وإنما ضبط الأصوليون مصلحة الإنسان في ضوء مقاصد الشارع، وأشاروا إلى أن المصلحة المقصودة ليست مجرد جلب المنفعة، ودفع المضرة، وإن كان هذا مما يرعاه ويسعى إليه، ولكن المصلحة بالمعنى الشامل والأدق هي في المحافظة على مقصود الشارع، ومقصود الشارع في الخلق تم تحديده في الآتي: حفظ (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال).

هذه الأصول لا يتصور صلاح للكون واستقرار للحياة بدونها، وعلى ذلك فإن كل ما يحفظ هذه الأصول هو مصلحة، وكل ما يهددها فهو مفسدة، ودفع المفسدة مصلحة، هذه الأصول التي تم تحديدها بهذه الصورة لم يأت دليل واحد جامع لأمرها، ومحدد لمكانتها وإنما توصل إليها العلماء من خلال الاستقراء والاستنباط، ومن مجمل المعاني المستفادة من الأدلة والبراهين التي أتى بها الشرع الحنيف، ومن هنا تظهر المبادئ المستفادة من مقاصد الشريعة الإسلامية، والمؤكدة لضرورة حفظ البيئة، باعتبارها

(1) سورة الروم، الآية {41}.

(2) سورة يونس، الآية {81}.

(3) سورة القصص، الآية {77}.

الإطار الجامع لحفظ تجليات الدين والمحافظة على النفس، والعقل، والنسل، والمال، وهذا ما اتضحت معانيه ومعالمه من خلال ما قدمنا.

الخلاصة:

[1] إن مفهوم البيئة في الفقه الإسلامي يمتاز بالشمول ويرتبط برسالة الإنسان إعماراً وإصلاحاً في الكون.

[2] إن الرقابة في الفقه الإسلامي على قيم الإصلاح والبناء والإعمار تتأسس على الشعور بمراقبة الله ومعيته للإنسان.

[3] إن الفقه الإسلامي لا ينظر برؤية مصلحية خاصة للبيئة القطرية أو الإقليمية، وإنما النظرة الكونية العامة، باعتبار الكون كله مجالاً لحركة عبودية الإنسان.

[4] إن الفساد البيئي مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية والتي من خلالها تتجلى منظومة القيم الإسلامية.

[5] إن الإنسان هو قطب الرحى في قضية الإصلاح البيئي؛ إذ بصلاحه ينصلح الحال، ويفسد بفساده.

المبحث الثالث

ملوثات البيئة

من أهم ما يشغل العالم اليوم مشكلة البيئة،وأثرها على مآل الكرة الأرضية بأكملها؛وذلك بسبب خطورة الوضع، ووصوله إلى درجة بالغة التعقيد، وأخذ أهل العلم يتحدثون عن مظاهر تلك الخطورة مثل: ثقب طبقة الأوزون، وآثار التلوث على اختلاف مصادره، من مائي، وغذائي، وضوضائي، وظهور العديد من الأمراض، واندثار الغابات، وتمدد الزحف الصحراوي، وما أخذ يصيب المدن الصناعية الكبرى فيما عرف (بالأمطار الحمضية) وهي من أخطر ما يواجهه العالم لما لها من آثار مدمرة على البيئة،

إضافة إلى الملوثات الكيميائية، والتي أصابت الماء، والهواء، والغذاء، والتربة، ومن ثم أثرت على حياة الإنسان[1].

ويقصد بالتلوث التغيرات التي يحدثها الإنسان في البيئة، وما ينتج عنها من آثار للإنسان والكائنات الحية من الازعاج، والاضرار، أو الأمراض، أو الوفاة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أو إفساد العناصر الاساسية للبيئة أو الإخلال بأنظمتها السائدة والمعروفة. ويشمل ذلك تلوث الهواء، والماء، والتربة، والنباتات[2].

وهذه إشارة إلى بعض ملوثات البيئة، مما لا يخلو منه وسط من الأوساط الاجتماعية في العالم، وبيان ذلك في الآتي:

أولاً: تلوث الهواء:

إن استنشاق الهواء النقي يعد من أهم مقومات البيئة الصحية التي تحمي الإنسان. والهواء الطبيعي يحتوي على نسب تكاد تكون ثابتة، من الأوكسجين، والنيتروجين، وثاني أكسيد الكربون، مع خلوه من الأتربة، والعناصر السامة، وهذا الهواء يتجدد دائماً وبانتظام، بفعل التيارات الهوائية الطبيعية، وهواء البيئة الطبيعية يحقق الأمان من الناحية الفيزيوليجية، ولا تخفى أهمية الهواء على أحد. ولا شك أن تلوث الهواءيؤثر على البيئة محلياً وعالمياً، بل هو من أخطر أنواع التلوثوذلك لاتصاله المباشر بصحة الإنسانوالمناخ[3]. وتصنف الملوثات الهوائية إلى أساسية، وثانوية:

(1) انظر: التنمية حرية –أماريتا صن – ترجمة شوقي جلال – الكويست عالم المعرفة – ط 2004م – ص514.

(2) قانون البيئة السوداني 2001م – (8 – 2).

(3) انظر: البيئة ومشكلاتها – رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني – علم المعرفة – 1979 – ص120، أنظر: الإسلام وحماية البيئة – أ.د. آمنة نصر – القاهرة – ط2001م – ص23.

[1] الملوثات الأساسية:

{أ} الأكاسيد: وتشمل أكاسيد الكربون، وأكاسيد النتروجين، وأكاسيد الكبريت، وتنتج هذه الغازات من احتراق الوقود الأحفوري.

{ب} المواد العضوية المتطايرة: وتشمل المركبات الهيدروكربونية،كالميثان، والبنزين، وتنتج هذه في عوادم السيارات؛ إذ تتبخر من (الكاربوريتر) ومن خزانات وقود المركبات، وكذلك من المصانع المنتجة للمنظفات والحموض، والقواعد.

{ج} المركبات العالقة والقُطيْرات: وتوجد المركبات العالقة في الهواء، على شكل مواد صلبة، مثل:الغبار، والكائنات، الحية الدقيقة المتحوصلة، وحبوب اللقاح، والفلزات الثقيلة، مثل:الرصاص، والكادميوم، والزئبق، والزرنيخ، وأملاح الكبريت، وأملاح النترات. أما القطيرات فتتمثل في النفط والمبيدات الحشرية.

[2] ملوثات الهواء الثانوية:

تنتج هذه الملوثات من تفاعل الملوثات الأساسية، للهواء مع بعضها بعضاً أو مع ملوثات أخرى، أو مع الماء بمساعدة أشعة الشمس، وتشمل المطر الحمضي والأوزون[1].

ثانياً: التلوث الإشعاعي:

تنطلق الإشعاعات من مصادر طبيعية، وتشمل الأشعة الكونية، وإشعاعات القشرة الأرضية، والإشعاعات الذاتية التي تصدر عن الماء، والهواء، والغذاء، مثل: الألبان، أو الطعام،أوالماء، وغيرها. وتنتج أيضاً بفعل أنشطة بشرية وبخاصة التفجيرات النووية وحوادث المفاعلات النووية، كحادثة تشرنوبل. وتتميز الملوثات الإشعاعية باستمرارية بقائها في الجو أشهر عدة، وبعدها تسقط على الأرض، والنباتات، فتدخل السلاسل

(1) انظر الملوثات الكيمائية وآثارها على الصحة والبيئة المشكلة والحل – الدكتور الشحات حسن عبد اللطيف نشأت– مصر – دار النشر للجامعات – ص69 وما بعدها.

الغذائية، فتنتقل إلى أجسام الكائنات الحية. كما تصيب الإشعاعات أجسام الكائنات الحية من الوسط المحيط عن طريق التنفس، فتتراكم في أعضاء مختلفة فيها، وبخاصة في العظام، ومن ثم تسبب أمراض السرطانات والعقم، وسرعة الهرم.

[1] استنزاف الأوزون:

تنتشر مواد الكلور، والفلور، والكاربون في الغلاف الجوي؛ إلى أن تصل إلى الستراتسفير؛ حيث الأشعة فوق البنفسجية بتحليلها، وتحرير ذرات الكلورين، والبرومين منها، التي يزداد نشاطها الكيميائي في الحالة الحرة، فترتبط بجزيئات الأوزون، ليتجزأ الأوزون إلى إكاسيد الكلورين، والأكسجين، مما يؤدي إلى استنزاف الأوزون. ويؤدي سبب تآكل أو استنزاف أو إحداث ثقب الأوزون إلى تلوث البيئة بالكيماويات التي تصل إلى الغلاف الجوي بالطرق التالية:

أكاسيد النيتروجين المنطلقة من عوادم الطائرات النفاثة التي تطير على ارتفاعات كبيرة على مقربة من الستراتوسفير، ومنصات إطلاق الصواريخ وعوادمها[1].

مركبات الكلوروفلوروكربون التي تستخدم في معدات تبريد وتكييف الهواء وفي تعقيم الأدوات الطبية، وفي تنظيف وتجفيف المعادن، وكذلك في تعبئة زجاجات العطور.

أكاسيد الهيدروجين الناتجة عن التفجيرات النووية، والتجارب المتعلقة بها. مركبات الهالون التي تستخدم في مطافئ الحريق، باعتبارها مضادة للحريق. مركبات الكلور التي تنشأ نتيجة لتبخر مياه البحار، وثوران البراكين[2].

(1) انظر: المشكلات البيئية المعاصرة في العالم – د.كاظم المقدادي – ص 206 ما بعدها – مصدر سابق وأنظر: البيئة ومشكلاتها – ص43 – مصدر سابق.

(2) انظر الملوثات الكيميائية – ص94 – مصدر سابق.

[2] المطر الحمضي(Acid rain):

المطر الحمضي، هو مطر مكون من جزيئات الماء المتفاعل مع ثاني أكسيد الكربونوحامض الكاربونيك يُمْكِن أنْ يتفاعل في الماء، والمطر الحمضي سببه الغازات المنبعثة من المصانع والإنسان، وله تأثير كبير على الغطاء النباتي، وعلى الحيوانات، وعلى البيئة المائية،مما يتسبب في تلوث المياه(1).

ثالثاً: تلوث البحار والمحيطات:

حسب الدراسات الإحصائية، والتي تتعلق بالسكان، فقد ذكر أنه وخلال الثلاثين عاماً القادمة، سيقيم أكثر من ثلاثة وستين مليار نسمة في الممرات الساحلية، مما سيزيد الضغط على خطوط الالتحام بين البر والبحرولقد تعرضت مياه البحار والمحيطات عبر التاريخ، إلى تغيرات بيئية نتيجة عاملين هما:

زيادة تركيز نسب عدد من المواد، والعناصر الموجودة في البيئة البحرية، عن نسبها الأصلية مثل (النيتروجين).

إيجاد مواد جديدة لم تعرفها الطبيعة من قبل، حتى في المراحل السابقة للتطور الاقتصادي مثل (اللدائن).

من أهم ملوثات البحار والمحيطات ومما له أثر ضار بالبيئة: (مياه الصرف الصحي، المواد الطبية، الإشعاع النووي،المبيدات الحشرية، والأسمدة، المواد الكيماوية، النفط، ومشتقاته، الديناميت، المواد الصلبة).

(1) انظر الإنسان والبيئة والتلوث البيئي – د. صالح وهبي –دار الفكر – دمشق – ط1 –2004م – ص125 وما بعدها.

يزداد تلوث المسطحات المائية بشكل مضطرد، ما يثير تساؤلات حول مدى تأثر الأسماك بهذا التلوث، وخطورة تناول الإنسان للوجبات السمكية المختلفة، بالإضافة إلى إثارة الشكوك حول الفوائد الحقيقية لهذا المصدر الغذائي المهم(1).

رابعاً: الضوضاء:

الضوضاء هي أصوات ذات استمرارية وهي أصوات غير مرغوب فيها، وتحدث عادة بسبب التقدم الصناعي. ويأتي مصدرها من المدن التي يكون فيها تضخم سكاني، وازديادالنشاط العمراني، والصناعي واستخدام مركبات النقل، ونتيجة ذلك تصبح اصوات السيارات والسكان وغيرها، من الأصوات التي تزعج الإنسان؛ وتسبب له أمراضاً كثيرة، ومعظمها امراض نفسية؛ تؤثر على صحة الإنسان، كما أن التجمعات الصناعية، والتي تكون بجانب التجمعات السكنية تسبب الضوضاء،وهي من مسببات الأمراض المؤثرة على الإنسان كما ذكرنا(2).

خامساً: التلوث الضوئي:

التلوث الضوئي هو الظاهرة المتزايدة للتغيرات الوظيفية في الأنظمة البيئية، بسبب الإضاءة الاصطناعية في البيئة الليلية خاصة، وله تأثير سلبي واضح على أنواع حيوانية، ونباتية، وفطرية مهمة، مثل: (الحشرات، الليليةالفراشات، وغمديات الأجنحة...} والخفافيش، والبرمائيات...) بل وعلى سلامة المنظر البيئي عامة.

(1) انظر الملوثات الكيميائية – ص125 وما بعدها – مصدر سابق– مصدر سابق. وأنظر: أضواء على تشريعات حماية البيئة (المسئولية القانونية) – مصطفى عبد الحميد عدوي – ورقة مقدمة لمؤتمر نحو دور فاعل للقانون في حماية البيئة وتنميتها – دولة الامارات المتحد – 1999م– ص19.

(2) انظر: التربية البيئية بين المنهج والتطبيق – آدم محمد صبحي العزاوي – الجنان للنشر والتوزيع – ط2010م – ص132.

على المستوى الأحيائي الجغرافي، تعتبر هذه الظاهرة حديثة جداً. ولهذا السبب، ونظرا لتأخر الوعي بهذا المشكل، ونقص الميزانيات المستثمرة في هذا المجال، يبقى هذا الخطر بعيدا عن السيطرة. كما أن آثاره لم تدرس بدقة، إذ لم تشمل البحوث إلا بعض الأنواع، خاصة الطيور[1].

سادساً: تلوث التربة:

هناك أنواع مختلفة من التربة، والتربة (Soil) هي الطبقة السطحية المفككة من القشرة الأرضية، التي تمتزج معها الكائنات الحية، ونواتج المواد المتحللة، التي قد توجد على عمق 50 إلى 100 سنتيمتر. وتتكون التربة من طبقات.

يمكن تعريف تلوث التربة على أنه أي تغيير في الأرض، يجعلها غير صالحة للاستعمال المفيد وهذا التلوث ناتج من تصريف فضلات كيميائية صلبة، أو سائلة بدون معالجة بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، وهذا يؤثر على نوعية التربة، ويجعلها غير صالحة للزراعة[2].

سابعاً: الإحتباس الحراري:

الاحتباس الحراري هو ظاهرة ارتفاع درجة الحرارة في بيئة ما، نتيجة تغيير في سيلان الطاقة الحرارية من البيئة وإليها. وعادة ما يطلق هذا الاسم على ظاهرة ارتفاع درجات حرارة الأرض، عن معدلها الطبيعي. وعن مسببات هذه الظاهرة على المستوى الأرضي أي عن سبب ظاهرة ارتفاع حرارة كوكب الأرض، ينقسم العلماء إلى فريقين من يقول إن هذه الظاهرة ظاهرة طبيعية وإن مناخ الأرض يشهد طبيعياً فترات ساخنة، وفترات باردة، مستشهدين بذلك عن طريق فترة جليدية، أو باردة نوعاً ما، بين القرن 17

(1) 1http://ar.wikipedia.org/wiki/تلوث_ضوئي.

(2) انظر الملوثات الكيميائية – ص142– مصدر سابق، وانظر الإنسان والبيئة من منظور اسلامي – ص48 –مصدر سابق.

و 18 في أوروبا. يعد الإشعاع الشمسي المصدر الرئيس للطاقة على سطح الأرض، إذ ينطلق من الشمس باتجاه الأرض فينفذ من خلال غازات الغلاف الجوي، على شكل أشعة مرئية قصيرة الموجات، وأشعة حرارية طويلة الموجات، (تحت الحمراء) وبعض الأشعة فوق البنفسجية التي لا يمكن امتصاصها بواسطة الأوزون، فيمتص سطح الأرض الأشعة الواصلة إليه، فيسخن عندها، ويبث حرارته نحو الغلاف الجوي القريب من سطح الأرض فتحتبس الحرارة، ولا يسمح لها بالنفاذ، أو الافلات إلى أعلى، ويعيد بثها نحو الأرض، مما يؤدي إلى زيادة درجة حرارة الأرض. بدأ الشعور بظاهرة الاحتباس الحراري منذ عام 1880م، إذ ارتفعت حرارة جو الأرض بمقدار نصف درجة مئوية خلال القرن الماضي، وستزداد درجة مئوية واحدةً بحلول عام 2040 م ومن المتوقع أن ترتفع نحو 3,2 درجة مئوية لغاية سنة 2100 م. يتسبب ثاني أكسيد الكربون بنحو50% من ظاهرة الاحتباس الحراري تقريباً، ففي كل سنة يضيف سكان العالم نحو 6 مليار من هذا الغاز إلى الغلاف الجوي[1].

ثامناً: التصحر:

التصحر هو تعرض الأرض للتدهور؛ في المناطق القاحلة، وشبه القاحلة، والجافة شبه الرطبة، مما يؤدي إلى فقدان الحياة النباتية، والتنوع الحيوي بها، ويؤدي ذلك إلى فقدان التربة الفوقية ثم فقدان قدرة الأرض على الإنتاج الزراعي، ودعم الحياة الحيوانية والبشرية. ويؤثر التصحر تأثيرًا مفجعًا على الحالة الاقتصادية للبلاد، حيث يؤدي إلى خسارة تصل إلى 40 بليون دولار سنويًا في المحاصيل الزراعية وزيادة أسعارها.

في كل عام يفقد العالم حوالي 691 كيلومتر مربعاً من الأراضي الزراعية نتيجة لعملية التصحر، بينما حوالي ثلث أراضي الكرة الأرضية معرضة للتصحر بصفة عامة.

(1) انظر: حماية البيئة – المجموعة الهندسية للابحاث البيئية – محمود علبي – ص 18 وما بعدها، وانظر الإسلام وحماية البيئة – آمنة نصير – ص21 – مصدر سابق.

ويؤثر التصحر على القارة الإفريقية بشكل خاص، حيث تمتد الصحاري على طول شمال إفريقيا تقريبًا. كما أنها أصبحت تمتد جنوبًا، حيث إنها اقتربت من خط الاستواء بمقدار 60 كم عمّا كانت عليه من 50 سنة، وفي أكثر من 100 بلد من بلاد العالم؛ يتأثر ما يقارب البليون نسمة من إجمالي سكان العالم، البالغ عددهم 6 بلايين نسمة؛ بعملية تصحر أراضيهم؛ مما يرغمهم على ترك مزارعهم والهجرة إلى المدن من أجل كسب العيش.

يعد التصحر ظاهرة جغرافية متحركة، تكتسبالبيئة من خلالها خصائص الصحراء الحقيقية، ما يخل بالتوازن البيئي الطبيعي، إذ يحدث تدهور، واسع المدى في جميع البيئات، الرطبة، وشبه الرطبة، والجافة، وشبه الجافة، وفي ظل تأثير مزدوج من تغير الظروف، من خلال زحف الصحراء على إقليم الاستبس، وزحف إقليم الاستبس نحو إقليم السافانا، وزحف إقليم السافانا على إقليم الغابات(1).

ينتج التصحر عن تدهور النظام البيئي، ويرتبط ذالك بقدرة الموارد الاستيعابية، فإذا فاق استغلال الإنسان للموارد طاقتها الاستيعابية، وتعرضت للاستغلال المفرط، وغير المنظم، فإن البيئة تتعرض إلى التدهور، فتصبح متصحّرة، فتتناقص إنتاجية الأراضي، ويعجز الإنتاج عن تلبية حاجات الإنسان،والحيوان من الغذاء(2).

هذه هي أهم الملوثات التي تؤثر على البيئة تأثيراً بالغاً؛ وتوجد آثار مضرة بالإنسان، والحيوان، والنبات، كماوضح، ومن هنا اهتمت جل الدول بأخطار هذه الملوثات، ومفسدات البيئة، وسنت من القوانين والاتفاقيات، ما يعين على ضبط الأمر،

(1) انظر: أضواء على مشكلة الغذاء بالمنطقة العربية الإسلامية – عبد القادر الطرابلسي – كتاب الأمة – ط1 – 1999م – ص 87 وما بعدها – مصدر سابق.

(2) البيئة ومشكلاتها – رشيد الحمد محمد سعيد صباريني – الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون – ص54. وانظر: التلوث البيئي والتنمية الاقتصادية – د. منى قاسم – الدار المصرية اللبنانية – ط1 – 1993م – ص47.

وتحقيق القدر المطلوب من أجل الحفاظ على البيئة، وسلامتها، وتدارك ما يمكن أن ينشأ من أضرار جراء التطور الصناعي، والمنحى الاستهلاكي المستنزف للمواد والذي يشهده العالم اليوم.

المبحث الرابع

الحماية القانونية للبيئة

لقد اهتمت التشريعات القانونية في العالم عامة، وفي البلاد العربية خاصة باصدار القوانين والنظم الهادفة إلى حماية البيئة والمحافظة عليها، وقد اختلفت تلك القوانين من حيث التفصيل والإجمال، مما يستدعي قراءة متأنية لاستيعاب تلك التشريعات، في ضوء المقاصد العامة، من خلال الدراسة المقارنة، وقد أوردنا بعض النصوص المختارة من القانون السوداني، والمصري، والاردني في اطار المقارنة:

أولاً: التصديق بالمشاريع المؤثرة على البيئة:

{أ} قانون حماية البيئة السوداني:

أتى قانون حماية البيئة السوداني كمحاولة إيجابية من أجل المحافظة على البيئة، وتجريم السعي في إفسادها بأي طريقة من الطرق، والتي قد تأتي نتاجاً طبيعياً للنشاط البشري والتطور الصناعي والنهوض الحضاري. جاء في المادة 18- (1) على الرغم من أحكام قانون آخر بشأن تصديق السلطة المختصة على المشاريع أو البرامج، يجب على كل شخص يرغب في الدخول في أي مشروع من المرجح أن يؤثر سلباً على البيئة والموارد الطبيعية؛ أن يتقدم بدراسة جدوى بيئية موقعاً عليها من قبل لجنة التقويم والمتابعة، التي يشكلها المجلس.

يجب أن توضح دراسة الجدوى البيئية للمشروع ما يلي:

{أ} الأثر المتوقع للمشروع المقترح على البيئة.

{ب} الآثار السالبة للمشروع التي يمكن تفاديها عند تنفيذ المشروع،

{ج} البدائل المتاحة للمشروع المقترح،

{د} إيضاح كاف بأن استغلال الموارد الطبيعية والبيئية على المدى القصير، لا يؤثر على عطاء تلك الموارد على المدى البعيد،

{هـ} إذا ارتبط المشروع باستغلال الموارد الطبيعية غير المتجددة، فيجب أن تضمن الدراسة المذكورة استمرار استغلال تلك الموارد،

{و} التحوطات المتخذة لاحتواء الآثار السالبة للمشروع والحد منها.

لقد اهتمت هذه المواد بالضبط العام للمشاريع ذات الطبيعية المتصلة بالموارد الطبيعية؛ وذلك لضمان المحافظة عليها، وعدم الاعتداء؛ وذلك من خلال دراسة الجدوى وهذا لا يكفي إذ لا بد من المراقبة، والمتابعة لملاحقة التطورات المتسارعة والتي تتصل بكسب الإنسان وسعيه[1].

{ب} قانون حماية البيئة المصري:

أتت القوانين المهتمة بسلامة البيئة في التشريعات المصرية متعددة، وفق تعدد مداخل النظر إلى سلامة البيئة .. وقد اهتم القانون المصري بمبدأ سلامة المنشأة الصناعية، وربط ذلك بالترخيص المسبق لاقامتها، وأحاط ذلك بالضوابط القانونية اللازمة[2]. ومن ذلك:

يلتزم صاحب المنشاة باتخاذ الإجراءات، والتدابير اللازمة للمحافظة علي درجتي الحرارة و الرطوبة، داخل العمل بما لا يجاوز الحد الأقصى، والحد الأدنى المسموح بهما، وفي حالة ضرورة العمل في درجتي حرارة، أو رطوبة خارج هذه الحدود ، يتعين

(1) انظر المواد ضمن قانون حماية البيئة السوداني.

(2) انظر القانون المصري تنظيم الصناعة وتشجيعها – المادة (1)، وأنظر التلوث البيئي والتنمية الصناعية د. منى محمد محمود قاسم – ص103–مصدر سابق.

عليه أن يكفل وسائل الوقاية المناسبة للعاملين من ملابس خاصة، وغير ذلك من وسائل الحماية[1].

و تبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون الحد الأقصى، والحد الأدنى لكل من درجتي الحرارة والرطوبة، ومدة التعرض لهما، ووسائل الوقاية منهما.

يشترط في الأماكن العامة المغلقة، وشبه المغلقة، أن تكون مستوفية لوسائل التهوية الكافية، بما يتناسب مع حجم المكان، وقدرته الاستيعابية، ونوع النشاط الذي يمارس فيه بما يضمن تجدد الهواء، ونقاءه، واحتفاظه بدرجة حرارة مناسبة.

{ج} قانون حماية البيئة الأردني:

تناول القانون الاردني أهم القضايا التي تتصل بحماية البيئة وهو كغيره من القوانين العربية، من حيث الإحاطة بمشكلات البيئة، ويتضح ذلك من خلال إيراد النصوص، تحقيق الأهداف حماية البيئة، وتحسين عناصره االمختلفة بشكل مستدام، وتتولى الوزارة بالتعاون والتنسيق مع الجهات ذات العلاقة المهام التالية:-

{أ} وضع السياسة العامة لحماية البيئة، وإعداد الخطط، والبرامج، والمشاريع اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة.

{ب} إعداد المواصفات والمعايير القياسية لعناصر البيئة ومكوناتها.

{ج} إصدار التعليمات البيئية اللازمة لحماية البيئة، وعناصرها، وشروط إقامة المشاريع الزراعية، والتنموية، والتجارية، والصناعية والإسكانية، والتعدينية وغيرها، وما يتعلق بها من خدمات للتقيد بها، واعتمادها ضمن الشروط المسبقة لترخيص أي منها، أوتجديد ترخيصها، وفق الأصول القانونية المقررة.

(1) انظر قانون حماية البيئة المصري – المواد من (42 – 44).

{د} المراقبة والإشراف على المؤسسات والجهات العامة والخاصة، بما في ذلك الشركات، والمشاريع لضمانت قيدها بالمواصفات البيئية القياسية، والمعايير، والقواعد الفنية المعتمدة[1].

ثانياً: واجبات السلطة المختصة في مراعاة السياسات البيئية:

{أ} القانون السوداني لحماية البيئة:

أورد القانون الآتي: تقوم السلطة المختصة بمراعاة واتباع السياسات والموجهات الآتية، لحماية وترقية البيئية في الدولة:

{أ} وضع اعتمادات مستويات الجودة التي تؤدي إلى حماية البيئة، ومنع تدهورها، ومتابعة الالتزام بها.

{ب} المحافظة على مصادر المياه المختلفة، وحمايتها من التلوث، وترشيد استخدام المياه.

{هـ} تطوير برامج التعدين والتنقيب؛ وفقاً للمعايير والمواصفات البيئية السليمة،

{و} المحافظة على المواقع الأثرية والسياحية وحمايتها من التدهور، والاعتداءات عليها.

{ز} نشر الوعي والثقافة البيئية بين المواطنين، وتنشيط دور الإعلام في مجال حماية البيئة.

{ح} إدخال حماية البيئة ضمن البرامج التعليمية بالمدارس، والجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية الأخرى.

{ط} التنسيق والتعاون بين الجمعيات، والمؤسسات، والمجالس، والشخصيات الاعتبارية الوطنية والأجنبية المختلفة المهتمة بالبيئة وحمايتها.

(1) انظر: قانون حماية البيئة الاردني – المادة (4).

{ي} متابعة التنفيذ الصارم لأحكام القوانين البيئية، دون المساس بالقوانين المنظمة للأجهزة العدلية[1].

{ب} قانون حماية البيئة المصري: أورد الآتي:

[1] تهتم السلطات المختصة بوضع المعايير والأسس الضابطة لما يتعلق بالنشاطات الصناعية، وأثرها على البيئة، وهذه المعايير تعتبر أساساً للمقايسة والضبط .

[2] يشترط أن يكون الموقع الذي يقام عليه المشروع مناسبا لنشاط المنشأة، بما يتضمن عدم تجاوز الحدود المسموح بها لملوثات الهواء، وأن تكون جملة التلوث الناتج عن مجموع المنشآت في منطقة واحدة في الحدود المصرح بها.

[3] وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون، المنشآت الخاضعة لأحكامه، والجهة المختصة بالموافقة علي ملاءمة الموقع والحدود المسموح بها، لملوثات الهواء، والضوضاء في المنطقة التي تقام بها المنشأة، هذه المادة اهتمت بمعالجة مشكلة تلوث الهواء، والحماية من التلوث الصوتي (الضوضاء).

[4] تلتزم المنشآت الخاضعة لأحكام هذا القانون في ممارستها لأنشطتها؛ بعدم انبعاث، أو تسرب ملوثات للهواء، بما يجاوز الحدود القصوى المسموح بها في القوانين والقرارات السارية، وما تحدده اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

[5] لا يجوز استخدام آلات، أو محركات، أو مركبات ينتج عنها عادم يجاوز الحدود التي تقررها اللائحة التنفيذية لهذا القانون[2].

(1) انظر المواد ضمن قانون حماية البيئة السوداني.

(2) انظر قانون حماية البيئة المصري – المواد من (34 & 37).

{ج} قانون حماية البيئة الأردني: أورد الآتي:

[1] تتولى الوزارة بالتعاون والتنسيق مع الجهات المختصة بشؤون البيئة محلياً، وعربياً، ودولياً المحافظة على عناصر البيئة، ومكوناتها من التلوث، والعمل على تنفيذ الاتفاقيات الخاصة بشؤون البيئة(1).

ثالثاً: معالجة النفايات الخطرة واستنفاد الموارد:

{أ} القانون السوداني لحماية البيئة:

جاء في القانون السوداني فيما تعلق بمعالجة النفايات الخطرة واستنفاد الموارد مايلي:

[1] المحافظة على مصادر المياه المختلفة وحمايتها من التلوث، وترشيد استخدام المياه.

[2] إيضاح كاف بأن استغلال الموارد الطبيعية والبيئية على المدى القصير؛ لا يؤثر على عطاء تلك الموارد على المدى البعيد.

[3] إذا ارتبط المشروع باستغلال الموارد الطبيعية، غير المتجددة فيجب أن تضمن الدراسة المذكورة استمرار استغلال تلك الموارد.

[4] المحافظة على الهواء، والغذاء، والتربة، والغطاء النباتي، وحمايتها من التلوث والتدهور.

[5] المحافظة على الحيوانات والكائنات الحية الأخرى، وحمايتها من مخاطر الانقراض بالصيد الجائر، أو الاعتداء عليها.

{ب} قانون حماية البيئة المصري:

نص قانون حماية البيئة المصري، على أنه يحظر إقامة أي منشآت بغرض معالجة النفايات الخطرة؛ إلا بترخيص من الجهة المختصة بعد أخذ رأي جهاز شؤون

(1) انظر قانون حماية البيئة الأردني – المواد من (5 & 6).

البيئة و يكون التخلص من النفايات الخطرة طبقا للشروط والمعايير التي تحددها اللائحة التنفيذية من النفايات الخطرة[1].

علي القائمين علي إنتاج أو تداول المواد الخطرة، سواء كانت في حالتها الغازية، أو السائلة أو الصلبة أن يتخذوا جميع الاحتياطات بما يتضمن عدم حدوث أي أضرار بالبيئة.

وعلي صاحب المنشأة التي ينتج عن نشاطها مخلفات خطرة، طبقا لأحكام هذا القانون الاحتفاظ بسجل هذه المخلفات، وكيفية التخلص منها وكذلك الجهات المتعاقد معها لتسلم هذه المخلفات. وتبين اللائحة التنفيذية البيانات التي تسجل في هذا السجل، ويختص جهاز شؤون البيئة بمتابعة السجل للتأكد من مطابقة البيانات للواقع، ويحمد لهذا النص اهتمامه بالنشاط الصناعي، ووضع الضوابط اللازمة لعمل المنشآت الصناعية.

{ج} قانون حماية البيئة الأردني:

فيما يتعلق بمعالجة النفايات جاء في القانون الأردني:

[1] تحدد بموجب تعليمات يصدرها مجلس الوزراء بناء على تنسيب الوزير المواد التي يحظر إدخالها إلى المملكة.

[2] يحظر إدخال أية نفايات خطرة إلى المملكة، وتحدد هذه النفايات بموجب تعليمات يصدرها مجلس الوزراء، بناء على تنسيب الوزير.

[3] في حال اكتشاف أي نفايات خطرة تم إدخالها للمملكة أو تم إدخال أي ملوثات للبيئة إليها بصورة غيرمشروعة، تعمل الوزارة وبالتنسيق مع الجهات المعنية على إعادتها لمصدرها على حساب الجهة التي أدخلتها للمملكة وتحميلها الغرامات، والنفقات والخسائر، التي تعرضت لها المملكة[2].

(1) انظر قانون حماية البيئة المصري – المواد من (29 – 33).

(2) انظر قانون حماية البيئة الأردني – المواد من (5 & 6).

رابعاً: اجراء البحوث المتعلقة بسلامة البيئة:

لقد نصت القوانين على الموجهات الضرورية لحماية البيئة فيما يتعلق بالبحوث كما يلي:

{أ} القانون السوداني لحماية البيئة: نص القانون السوداني لحماية البيئة:

نشر الوعي والثقافة البيئية بين المواطنين، وتنشيط دور الإعلام في مجال حماية البيئة[1].

{ب} القانون الأردني لحماية البيئة:

نص القانون الاردني لحماية البيئة على الآتي:

[1] اجراء البحوث والدراسات المتعلقة بشؤون البيئة وحمايتها.

[2] وضع اسس تداول المواد الضارة والخطرة على البيئة، وجمعها، وتصنيفها، وتخزينها، ونقلها، وإتلافها، والتخلص منها وفق النظام يصدر لهذه الغاية.

[3] تنسيق الجهود الوطنية الهادفة لحماية البيئة بما في ذلك وضع استراتيجية وطنية، للوعي، والتعليم، والاتصال البيئي، ونقل، واستخدام، وتوفير، المعلومات البيئية، واتخاذ الإجراءات اللازمة لهذه الغاية.

[4] الموافقة على إنشاء المحميات الطبيعية، والمتنزهات الوطنية وإدارتها ومراقبتها، والإشراف عليها.

[5] إعداد خطط الطوارئ البيئية.

[6] إصدار المطبوعات المتعلقة بالبيئة، وتعتبر الوزارة الجهة المختصة بإصدار تقارير عن حالة البيئة في المملكة.

[7] تعزيز العلاقات بين المملكة، والدول، والهيئات، والمنظمات العربية، والإقليمية، والدولية في الشؤون المتعلقة بالمحافظة على البيئة، والتوصية بالانضمام إليها ومتابعة تنفيذها.

(1) انظر المواد ضمن قانون حماية البيئة السوداني.

خامساً: المحافظة على البيئة الإحيائية:

{أ} القانون السوداني لحماية البيئة:

نص القانون السوداني على الآتي:

[1] المحافظة على الهواء، والغذاء، والتربة، والغطاء النباتي، وحمايتها من التلوث، والتدهور.

[2] المحافظة على الحيوانات، والكائنات الحية الأخرى، وحمايتها من مخاطر الانقراض بالصيد الجائر أو الاعتداء عليها.

{ب} قانون حماية البيئة المصري:

نص قانون حماية البيئة المصري على الآتي:

[1] يحظر بأية طريقة صيد، أو قتل، أو إمساك الطيور، والحيوانات البرية التي تحدد أنواعها اللائحة التنفيذية لهذا القانون، ويحظر حيازة هذه الطيور، والحيوانات، أو نقلها، أو التجول بها، أو بيعها، أو عرضها للبيع، حية أو ميتة.

[2] كما يحظر إتلاف أوكار الطيور المذكورة،أو إعدام بيضها.

{ج} قانون حماية البيئة الأردني :

جاء في قانون حماية البيئة الأردني الآتي:

الموافقة على انشاء المحميات الطبيعية والمتنزهات الوطنية، وادارتها ومراقبتها والإشراف عليها[1].

(1) انظر: قانون حماية البيئة الاردني – المادة (4).

سادساً: التعامل مع النفايات:

يمثل التعامل مع النفايات الخطرة مشكلة كبرى ولا سيما في الدول الفقيرة، والتي تتعرض للإغراء من الدول الكبرى، للتخلص من تلك النفايات. وقد وضعت القوانين نصوصاً ضابطة لذلك.

{أ} قانون حماية البيئة المصري:

جاء في قانون حماية البيئة المصري:

[1] يحظر تداول المواد و النفايات الخطرة بغير ترخيص من الإدارة المختصة.

[2] وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون إجراءات، و شروط منح الترخيص، والجهة المختصة بإصداره ويصدر الوزراء - كل في نطاق اختصاصه – بالتنسيق مع وزير الصحة و جهاز شؤون البيئة جدولا بالمواد و النفايات الخطرة المشار إليها، في الفقرة الأولي من هذه المادة.

[3] تخضع إدارة النفايات الخطرة للمواد والإجراءات الواردة باللائحة التنفيذية لهذا القانون.

[4] وتحدد اللائحة المذكورة الجهة المختصة بوضع جداول للنفايات الخطرة، التي تخضع لأحكامه؛ وذلك بعد أخذ رأي جهاز شؤون البيئة، وهذا النص يهتم بمشكلة تعاني منها معظم الدول، وهي مشكلة النفايات الضارة بالإنسان والحيوان.

[5] يحظر إقامة أي منشآت بغرض معالجة النفايات الخطرة إلا بترخيص من الجهة المختصة، بعد أخذ رأي جهاز شؤون البيئة ويكون التخلص من النفايات الخطرة طبقا للشروط والمعايير التي تحددها اللائحة التنفيذية من النفايات الخطرة[1].

(1) انظر قانون حماية البيئة المصري – المواد من (29 – 33).

[6] علي القائمين علي إنتاج أو تداول المواد الخطرة، سواء كانت في حالتها الغازية، أو السائلة، أو الصلبة أن يتخذوا جميع الاحتياطات، بما يتضمن عدم حدوث أي أضرار بالبيئة.

{ب} قانون حماية البيئة الأردني:

جاء في حماية البيئة الأردني:

[1] تتولى الوزارة بالتعاون والتنسيق مع الجهات المختصة بشؤون البيئة محليا وعربياً ودولياً، المحافظة على عناصر البيئة، ومكوناتها من التلوث، والعمل على تنفيذ الاتفاقيات الخاصة بشؤون البيئة.

[2] تحدد بموجب تعليمات يصدرها مجلس الوزراء، بناء على تنسيب الوزير المواد التي يحظر إدخالها الى المملكة.

[3] يحظر إدخال اية نفايات خطرة إلى المملكة وتحدد هذه النفايات بموجب تعليمات يصدرها مجلس الوزراء بناء على تنسيب الوزير.

[4] في حال اكتشاف أي نفايات خطرة تم إدخالها للمملكة أو تم ادخال أي ملوثات للبيئة إليها بصورة غير مشروعة تعمل الوزارة وبالتنسيق مع الجهات المعنية على إعادته المصدرها على حساب الجهة التي أدخلته اللمملكة وتحميلها الغرامات والنفقات والخسائـر التي تعرضت لها المملكة[1].

سابعاً: مبدأ الاحتساب في سلامة البيئة:

{أ} القانون السوداني لحماية البيئة:

لقد تميز قانون حماية البيئة السوداني بالنص على أهمية مبدأ الاحتساب كما وضح من خلال النص الآتي:

(1) انظر قانون حماية البيئة الأردني – المواد من (5 & 6).

[1] على كل شخص سواء كان شخصاً طبيعياً، أو اعتبارياً الإبلاغ عن المخاطر التي تهدد البيئة والمخالفة لأحكام هذا القانون وغيره من القوانين الأخرى، المتعلقة بصحة، وحماية البيئة، وتقديم المساعدات والإمكانات المطلوبة لحماية البيئة، ويكون له الحق في استرداد أي نفقات يتكبدها في سبيل أداء هذا الواجب، من أي من السلطات المختصة المعينة التي تقوم بأداء هذا الواجب نحوه.

[2] مع مراعاة أحكام القوانين المنظمة للحقوق، والإجراءات المدنية يكون لكل شخص الحق حسبة في رفع دعوى مدنية؛ إذا حدث أي ضرر للبيئة دون الحاجة لإثبات علاقته بذلك الضرر(1).

الخلاصة:

لقد اهتم القانون السوداني بأمر البيئة، وأتى ذلك واضحاً من خلال النصوص القانونية، والتي امتازت بالشمول، وجرمت كل الممارسات التي تؤدي إلى الفساد البيئ، كما أنها جعلت دعوى إفساد البيئة حسبة يتقدم بها كل من شعر بأن هناك ضرراً محدقاً بالبيئة، ومما يلاحظ على هذا القانون؛ أنه قد اهتم بالجانب الإعلامي، والتبصير الشعبي باهمية المشاركة في المراقبة والمتابعة؛ للحفاظ على البيئة، مع العلم بأن الإعلام ولا سيما في مجال إصلاح البيئة يحتاج إلى تفصيل وتدقيق في البرامج، حتى يصل الأمر إلى وعي الجماهير وإدراك العامة، ذلك أن كثيراً من اسباب الفساد البيئ قد لا يتعرف عليها إلا أهل التخصص الدقيق.

كما أن هناك بعض الجوانب ذات الصلة بالبيئة تحتاج إلى تفصيل أكثر، حتى يحيط القانون بكل المشكلات التي تتصل بسلامة البيئة، ولا يترك ذلك لعموم النصوص.

(1) انظر قانون حماية البيئة السوداني 2001م.

يلاحظ في القانون المصري أنه أتى متميزاً من حيث التفصيل والشمول، وهذا مما يساعد على ملاحقة مظاهر الإضرار بالبيئة، ويكسب القانون الحيوية اللازمة والواقعية، في ملاحقة المتغيرات والمستجدات التي تؤثر في البيئة ولا سيما إذا علمنا أن النشاط البشري والحضاري، يكتسب في كل يوم فتحاً في مجال التصنيع والإنتاج والتعامل مع العناصر المختلفة، مما يمثل تهديداً، متواصلاً وغير منقطع للبيئة، مما يستوجب الإحاطة حتى لا تتفلت بعض المظاهر الناشئة، والمستجدة والضارة بالبيئة من محاصرة القانون وملاحقته[1]. إن تناثر بعض النصوص المهتمة بالبيئة في بعض القوانين الأخرى؛ يدعو إلى الاجتهاد في جمعها وجعلها في نسق واحد حتى يتكامل النظر لقضايا البيئة.

لا يختلف القانون الاردني في محتواه عن القوانين الأخرى، في مقاصده وأهدافه ومواده المجرمة لإفساد البيئة، كما أنه قد أورد المواد التي تهتم بذلك إيراداً طيباً مع التفصيل الإيجابي، والذي يحتمل ويسع ويشمل ما يمكن أن يقع مستقبلاً من أسباب ذات اتصال بالتطور الصناعي، والنهوض الحضاري، مما ينعكس سلباً على البيئة مع نصه على محاربة أي محاولات مهما كانت مغرية مادياً، من دفن أو معالجة للنفايات الخطرة والضارة بالبيئة والإنسان. غير أنه وكما قدمنا فإن القانون المصري، والنصوص الدالة والداعية إلى الاهتمام بالبيئة في مجملها تعطي القوانين المصرية ميزة من حيث الإحاطة والشمول.

أما فيما تعلق بمبدأ الاحتساب في المراقبة والإصلاح البيئي المتصل بواجبات المجتمع، والتواصل مع السلطات، فإن القانون السوداني كان واضحاً في هذا الجانب، وهذا مردود لأصوله العامة والمستفادة من الشريعة الإسلامية. ومعلوم أن مبدأ الاحتساب من المبادئ الشرعية التي تتصل بواجبات المجتمع والأمة.

(1) انظر قانون حماية البيئة المصري – المواد من (45 – 47).

الخاتمة:

يتضح لنا ومن خلال هذا الاستعراض والذي أتى مبيناً لأهمية الرؤية الإيمانية، والضوابط القانونية للمحافظة على سلامة البيئة، أن للإنسان الدور الأكبر سواء إن كان ذلك الدور سالباً أو موجباً، وهذا يؤكد أهمية النظر للإنسان باعتباره الكائن الأكثر تأثيراً في الكون؛ بل ومن منظور إسلامي هو المستخلف على الأرض، والممكن من التعامل معها وفق قانون التسخير. إن الإنسان لا يستطيع أن يفطن إلى دوره وإلى رسالته في الحياة؛ إلا إذا استفاد ذلك من وحي معصوم وأهم ما يميز هذا الوحي والمتمثل في كتاب ربنا وسنة نبينا أنه رباني محقق لقيم الإحسان، وداع إلى أصول الأخلاق، وقيم التزكية التي تجعل الإنسان يتعامل مع الكون، ومع البيئة من حوله، من خلال أسس العبادة والطاعة لله. ومن هنا تصبح حماية البيئة مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، وواحدة من، هم تجليات القيم الإسلامية العظيمة، والأخلاق الإسلامية الزاكية.

إن الأمة الإسلامية ومن خلال نسقها القيمي، والحضاري، والإداري والقانوني مطلوب منها أن تتواصى بحماية البيئة، والمحافظة عليها، وأن تصدر من القوانين والتشريعات، وأن تقيم من الجمعيات والمنظمات، ما يحقق واجب حماية البيئة ورعايتها وجعل ذلك أساساً في إبراز الصورة الحضارية للإسلام، وهي الصورة المعبرة عن معاني الكمال، والجمال، ومن ثم هي الهادية لقيم الدين ومبادئه الربانية في أصلها، والإنسانية في عطائها الواقعي.

والاهتمام بالضابط القانوني القادر على ملاحقة المتغيرات السالبة، والتي يتسبب فيها الإنسان بسبب أو آخر؛ وذلك حتى ينضبط التعامل مع البيئة، وتتحقق المحافظة على سلامتها. ونخلص للنتائج الآتية:

[1] يمثل الاهتمام بالبيئة دليلاً على الوعي الحضاري، والمدخل الأساس في الإصلاح والعمران الكوني.

[2] لقد اهتم الإنسان وعبر مسيرته الحضارية بالبيئة، والمحافظة عليها وقد دعا الإسلام إلى ذلك بل وجعله من العبادة، مما يشير لأهمية المحافظة عليها.

[3] لقد أصدرت معظم الدول تشريعات قانونية، هدفت إلى المحافظة على البيئة، وحمايتها، غير أن هذه التشريعات تحتاج للمراجعة في ظل المتغيرات المتسارعة، والتي تهدد البيئة بشكل مستمر.

[4] يعتبر السودان من الدول التي تعاني من الضعف في مجال الضبط القانوني، والمؤسسي للمحافظة على البيئة، مما يتطلب مجهوداً تشريعياً ومؤسسياً يلاحق هذا النقص ويسد الخلل.

التوصيات:

وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى التوصيات الآتية:

[1] الاهتمام بالجانب القيمي، والبعد العقدي، في التعريف بالبيئة وأهميتها وصلتها بمفاهيم الإيمان وواجبات الإعمار.

[2] ضرورة التجديد والإحاطة في التشريعات القانونية لملاحقة المتغيرات والمستجدات في مجال البيئة ومهدداتها.

[3] الاهتمام بنشر ثقافة حماية البيئة، وفريضة المحافظة عليها وإحياء سنة الاحتساب في مراقبة ذلك والإرشاد إلى مسببات الإضرار البيئي.

[4] وضع منهج ثقافي شامل ودقيق، يعمم على المؤسسات التعليمية لتبصير الناشئة بأهمية البيئة وربط ذلك بالتربية الوطنية.

[5] نشر القيم الحاثة على المحافظة على البيئة، من خلال المؤسسات الاجتماعية والدينية وربط ذلك بمنهج دقيق وشامل.

[6] تشجيع الدراسات العلمية، والفقهية، والقانونية من خلال المناهج المقارنة لإحداث مقاربة فكرية، ومعرفية تساعد على توحيد الرؤية وتحقيق الأهداف.

[7] الاجتهاد في توحيد النصوص الأساسية الداعية، للمحافظة على البيئة على المستوى الإقليمي والدولي.

[8] التدقيق في سن التشريعات المتعلقة بحماية البيئة ومجانبة التعميم المخل في ذلك ملاحقة للمتغيرات المتسارعة.

المراجع:

[1] جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) - تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط1، 1420 هـ - 2000 م.

[2] تفسير القرطبي –أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي- أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة -ط2، 1384هـ - 1964م.

[3] صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) - تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[4] صحيح البخاري - محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي– تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة – ط 1422هـ

[5] شرح سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى الترمذي (المتوفى: 279هـ)– تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.

[6] سنن ابن ماجه - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية.

[7] السنن الصغرى للنسائي - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب– ط2، 1406 – 1986م.

[8] السيرة النبوية عند الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – سليمان بن عبد الله السويكت – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

[9] نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور - اساعيل الحسني – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط1 – 1995م.

[10] النظم الإسلامية نشأتها وتطورها – د. صبحي الصالح – بيروت – دار العلم للملايين.

[11] المستخلص في تزكية النفس – سعيد حوى – دار السلام للطباعة والنشر – ط4 – 2008م .

[12] فلسفة التربية الإسلامية - مكتبة المنارة - د. ماجد عرسان الكيلاني - ط1 1978م.

[13] العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية – د. عبد العزيز بن عبد الرحمن – مكتبة الملك فهد الوطنية – ط1 1422هـ .

[14] روح الصلاة في الإسلام– عفيف عبد الفتاح طبارة – بيروت دار العلم للملايين – ط8 – 1978م .

[15] خلافة الإنسان بين الوحي والعقل – د. عبد المجيد النجار – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – ط2 1993م .

[16] خطة الإسلام في موارد الإنتاج – د. فهد حمود العصيمي – الرياض – دار النشر الدولي – ط1 – 1994م .

[17] الإنسان والبيئة من منظور اسلامي – أ.د. الطيب حياتي – مركز دراسات الإسلام والعالم والمعاصر – ط 2012م .

[18] الإسلام وحماية البيئة – أ.د. آمنة نصير – القاهرة – ط2001م. تلوث البيئة أهم قضايا العصر - د. إبراهيم سليمان عيسي - المشكلة والحل، دار الكتاب الحديث، الطبعة الثانية، 2000م.

[19] التلوث البيئ والتنمية الإقتصادية – د. منى قاسم – الدار المصرية اللبنانية – ط1 1993م.

[20] البيئة ومشكلاتها – رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني – الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون - عالم المعرفة – 1979م.

[21] البيئة من حولنا - ترافس واجنر - دليل لفهم التلوث وآثاره.

[22] http://en.wikipedia.org/wiki/Environment.

[23] http://ar.wikipedia.org/wiki/ تلوث_ضوئي.

[24] الملوثات الكيميائية وأثرها على الصحة والبيئة المشكلة والحل – د. الشحات حسن عبد اللطيف – دار النشر للجامعات – ط1 – 2011م.

[25] أضواء على تشريعات حماية البيئة (المسؤولية القانونية) – مصطفى عبد الحميد عدوي – ورقة مقدمة لمؤتمر نحو دور فاعل للقانون في حماية البيئة وتنميتها – دولة الامارات المتحد – 1999م.

[26] قانون حماية البيئة المصري.

[27] قانون حماية البيئة السوداني.

[28] قانون حماية البيئة الأردني.

[29] حماية البيئة – المجموعة الهندسية للابحاث البيئية – محمود علبي.

[30] المشكلات البيئية المعاصرة في العالم – د. كاظم المقدادي – الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك – قسم ادارة البيئة.

[31] التربية البيئية بين المنهج والتطبيق – آدم محمد صبحي العزاوي – الجنان للنشر والتوزيع – ط2010م.

[32] التنمية حرية – أماريتا صن – ترجمة شوقي جلال – الكويست عالم المعرفة – ط 2004م.

[33] الإنسان والبيئة والتلوث البيئي – د. صالح وهبي – دار الفكر – دمشق – ط1 - 2004م.

[34] أضواء على مشكلة الغذاء بالمنطقة العربية الإسلامية – عبد القادر الطرابلسي – كتاب الأمة – ط1 – 1999م.

[35] أساس البلاغة الزمخشري -– بيروت دار المعرفة – ط1982م.

[36] مختار الصحاح - الرازي – مكتبة الرشد ط1 – 2004م.

[37] لسان العرب لابن منظور، دار المعارف ، القاهرة.